المحاضرة الثاني عشر:علم القافية

تعريف القافية : أ لغة:

مأخوذة من قفا يقفو أي تبع الاثر ، لأنها تتبع ما بعدها من البيت و ينظم بها و قافية كل شئ آخره

ب- اصطلاحا:

اختلف العلماء في تعريف القافية، فقد عرفها الأخفش بأنها آخر كلمة في البيت ، وقال الفراء : إن القافية هي حرف الروى لأنه الحرف الذي تنسب إليه القصيدة، أما ابن السراج الشنتريني فيعرف القافية بأنها «كل ما يلزم الشاعر إعادته فى سائر الأبيات من حرف وحركة ، فهذا هو من تسميتها (قافية) ، لأن الشاعر يقفوها أى يتبعها فتكون قافية بمعنى (مقفوة) ، كما قالوا: عيشة راضية بمعنى مرضية، أو تكون على بابها كأنها تقفو ما قبلها» (٣) ولعل أنسب تعريف للقافية في نظرنا هو تعريف الخليل بن أحمد، فالقافية عنده هى الحروف التي تبدأ بمتحرك قبل أول ساكنين في آخر البيت الشعري، وبناء على هذا التعريف فإن القافية عنده (الخليل) : هي من آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله وعليه تكون القافية :

1- **إما كلمة** : كلفظة (موعد) في بيت زهير السابق، فإن آخر ساكنها في البيت (الياء)في (موعدي)، وأقرب ساكن يليه المتحرك (الواو) يسبقها الميم. **ومثله قول البحتري:**

صنت نفسى عما يدنس نفسى وترفعت عن جدا كل جبس [1]

كلمة (جبس - ٥ - ٥) هي القافية

2- **أو أكثَرَ من كلمة مثل:** (لم ينم) في قول الشاعر :

لكلّ ما يُؤذي وإن قل ألم ما أطول الليل على من لم ينم

3-**أو بعض كلمةٍ** مثل: ((لالا) /0/0 من (زُلالا) و مثل قول عمرو بن كلثوم:

إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبابر ساجدينا

4-و القافية قد تكون كلمتين : مثل قول الشاعر:

[1] أحمد الهاشمي ، ميزان الذهب ، ص127

أنت على مالك من مروءة رميت بالغدر أحب من وفى:[2]

تتكون القافية من حروف بعضها ساكن وبعضها متحر، وإليك أسماء هذه الحروف :

١ - الروى:

هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ويتكرر بتكرار القافية وتنسب إليه القصيدة فيقال قصيدة دالية أو نونية أو همزيه .. الخ ، فإذا قرأت قول الشابي :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

فالقصيدة رائية وروبها الراء.

وإذا قرأت قول المتنبي:[3]

ومالنا كلنا جويا رسول أنا أهوى وقلبك المتبول

فالقصيدة لامية وروبها اللام.

ويشترط ألا يكون الروى حرف مد ولا هاء إلا في حالات معينة، فإذا قرأت قول المتنبي: .

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من أمره ما عنانا

فالروى ليس الألف وإنما هو النون.

وإذا قرأت هذا البيت:

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أو تعد معايبه

فالروى هنا الباء لا الهاء

فما لا يكون رويا الالف في مثل قاما ، قعدا ، والف الاطلاق و الالف التي تتبين منها الحركة نحو انا حيهلا ، و الالف التي تكون بدلا من التنوين نحو رأيت زيدا ، و الالف التي تكون بدلا من النون الخفيفة مثال قولهم صبرت أم لم تصبرا

---

[2] فوزي عيسى ، العروض العربي ومحاولات التجديد فيه ،مكتبة المعرفة الجامعية ، الازاريطة ، 1998 ، ص 89 ، 90

[3] المرجع السابق ، ص 90

كل الف سوى ذلك روي ، و الياء التي تكون للإطلاق لا تكون رويا و الياء في مثل قومي ، و اذهبي لا تكون رويا و كل ياء سواها تكون رويا وواو الاطلاق لا تكون رويا و كذلك واو الجمع نحو قوموا ، اذهبوا، و الهاء التي تتبين منها الحركة نحو اقضه لا تكون رويا و لا الهاء التي للتأنيث نحو طلحه و حمزه و لا هاء الاضمار ،نحو ضربته ، فإذا سكن قبل الهاء كانت رويا

ويستثنى من ذلك حالات معينة تكون فيها الروى حرف مد أو ضميرا كالواو والياء وهذه الحالات هي:

(أ) أن تكون الهاء أصلية متحركا ما قبلها نحو: الشفه الثقه ، الشبه ، المتشابه.

(ب) أن تكون الياء أصلية مكسور ما قبلها نحو القاضي ينقضي ومن أمثلتها :

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجات من عاش لا تنقضي

أن تكون الياء متحركة كقول المتنبي:

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

(ج) الألف الأصلية التي هي جزء من الكلمة وتسمى المقصورة كألف إذا ومتى ومضى ودمى وحبلى، ومن أمثلتها قول عمر بن أبي ربيعة:

ومن مالئ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

(د) الواو الأصلية الساكنة المضموم ما قبلها كواو يدعو ويسمو ويغزو .

(هـ) الهاء إذا سكن ما قبلها نحو:

قس بالتجارب أعقاب الأموركما تقيس بالنعل نعلا حين تحذوها

(و) تاء التأنيث الساكنة والمتحركة نحو:

وما كنت أدرى قبل عزة ما البكا ولا خطوات القلب حتى تولت[4]

٢ - الوصل:

هو حرف المد الذى يجئ بعد الروى لإشباع حركته كالألف في قول ابن خفاجة :

ضحك المشيب بعارضيه فأسفرا فغدا وراح من الغواية مقفراً

[4] المرجع السابق ، ص 91

أو الواو في قول الشاعر:

ذهب الصبا وتولت الأيام فعلى الصبا وعلى الزمان سلام

أو الياء في قول شوقي:

إن جل ذنبي عن الغفران لى أمل في الله يجعلني في خير معتصم

أو هو حرف الهاء الساكنة بعد حرف الروى نحو :

فإذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

٣ - الخروج :

هو اشباع الهاء فى الوصل ألفا أو ياء. فالألف نحو قول لبيد:

أو لم تكن تدرى نوار بأنني وصال عقد حبائل جذامها

والخروج بالواو نحو:

خليل لي سأهجره لذنب لست أذكره

فالراء الأخيرة روى والهاء وصل والواو الناشئة عن إشباع الضمة على الهاء **خروج. والخروج بالياء نحو قول ابن خفاجة :**

جميل يميل إلى مثله فيشفع مرآه في وصله

فللام روى والهاء ،وصل، والياء المتولدة عن إشباعها خروج.

4- الردف :

هو حرف المد (ألف واو ياء الذى يكون قبل الروى مباشرة، فالألف مثاله :

وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركابا

والواو نحو:

كلما عاد من بعثت إليها غار منى وخان فيما يقول

فالروى هو اللام والواو التي قبلها ردف.

والياء نحو:

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان يتلو النشيدا

ملاحظة :

إذا جاءت الألف ردفاً فيجب التزامها فى كل القصيدة، أما الواو والياء فمن الجائز تعاقبهما .

5- التأسيس :

هو الألف التي يكون بينها وبين الروى حرف نحو قول المتنبي:

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

فالميم روى والألف التي قبل السين تأسيس.

٦ - الدخيل :

هو الحرف المتحرك الذى يقع بين التأسيس والروى نحو:

نشرتهم فوق الأحيدب نشرة كما نثرت فوق العروس الدراهم

فالميم روى والهاء دخيل والألف تأسيس.[5]

حركات القافية:

حركات القافية ستة :

المجرى :حركة الروي المطلق الناشئ عنها أحد حروف العل

النفاذ : حركة هاء الوصل ضمه أو فتحة ، أو كسره

الحذو : حركة الحرف قبل الردف سواء كانت أو فتحة أو ضمة

الاشباع :حركة الدخيل سواء كانت فتحة أو ضمة أو كسرة

الرس :حركة الحرف الذي قبل التأسيس

التوجيه: حركة الحرف الذي قبل الروي المقيد الخالي من الردف و التأسيس

قاعدة :

[5] المرجع السابق ، ص 93

لا يمكن اجتماع الحذو و الردف مع التأسيس و لا التوجيه مع الروي المتحرك

تنبيه :

غاية ما يجتمع من حروف القافية و حركاتها تسع ، خمسة من أحرفها وهي : التأسيس ،الدخيل ،الروي ، الوصل ، الخروج ، و أربع من حركاتها وهي الرس ، و الاشباع و المجرى و النفاذ ، مثال :

ما رغبة النفس في الحياة وإن عاشت قليلا فالموت لاحقها

أسماء القافية من حيث حركاتها

سبق أن بينا أسماء الحركات للحروف التي تشتمل عليها القافية، فسميناها : المجرى، النفاذ، إلخ..

والآن نبين أسماء القافية كلها بالنظر إلى حركات حروفها مجتمعة فهي :

١ - **المتكاوس:** كلُّ قافية توالت بين ساكنيها أربع حركات، وقول الحطيئة :

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإِلهُ فَجَبَرَه

و يقول الشاعر:

الشعرُ صَعَبٌ وطويلٌ سُلَّمُهُ إذا ارتقى فيه الذي لا يَعْلَمُهُ

زلت به الى الحضيض قدمه [6]

فالقافية وهى **(**ضيض قدمه**)** قد انحصر بين ساكنيها أربعة متحركات، وهذا أكثر ما يكون في الشعر العربي، ولذلك كان هذا النوع قليلاً.

2- **المتراكب:** كل قافية اجتمع بين ساكنيها ثلاثة متحركات مثل :

يا ليتنى فيها جَذعْ أخُب فيها وأضع

القافية (ها وأضع**)** توالى بين ساكنيها ثلاثة متحركات .

3- **المتداركة :** كل قافية اجتمع فيها بين ساكنيها متحركان، كقول الشاعر :

إنَّ ابنَ مَيادة لباس الحلل وأمرّ من مرّ وأحلَى مِنْ عَسل

فالقافية **(**من عسل**)** وبين ساكنيها متحركان فقط .

4- **المتواترة :** كلُّ قافية بين ساكنيها حركة واحدة ؛ كقول كثير :

ومَنْ يَتَتَبَّع جاهدًا كُلَّ عَثْرَة يجدها ولا يَسْلَمُ له الدهر صاحبْ

فالقافية وهي **(**صاحب**)** بين ساكنيها متحرك واحد وهو الحاء .

5- **المترادفة:** كل قافية التقى ساكناها؛ كقول الشاعر :

[6] محمود مصطفى ، أهدى سبيل إلى علمي الخليل ، ص 101

كل حيّ صـائر للزوالْ[7]

عيوب القافية: و هي سبعه:

١ - **الإيطاء:** وهو إعادة كلمة الروى بلفظها ومعناها بدون أن يفصل بين اللفظين سبعة أبيات على الأقل، وقال الخليل : يتحقق الإيطاء بتكرار الكلمة ولو بلفظها فقط، ومثال الإيطاء قول الشاعر :

وواضع البَيتِ في خَرْساءَ مُظلمة تقيد العير لا يَسري بها الساري

لا يَخْفِضُ الزِّرَّ عَنْ أَرضٍ أَلَم بها ولا يضل على مصباحه الساري

وقد استثنوا من الإيطاء تكرار ما يستلذ ذكره؛ كاسم الله تعالى، واسم محمد رسوله عليه الصلاة والسلام

٢- **التضمين** وهو تعليق قافية البيت بصدر البيت الذي بعده، وهوقبيح وجائز ، و أما الأول: ما لا يتم الكلام إلا به : كجواب الشرط والقسم، وكالخبر، والفاعل والصلة. والثاني: ما يتم الكلام بدونه : كالجار والمجرور ،والنعت والاستثناء ،وغيرها ومن القبيح قول النابغة :

وهم وردوا الجـفار على تميم **وهم** أصحـاب يوم عكاظ إني

شهدت لهم مواطن صادقات شهدن لهم بصدق الود مِنّى

فخبر **(إني)** في البيت الأول هو جملة: **(شهدت)** في أول الثاني . ومن الجائز قول الشاعر :

وما وجد أعرابية قذفت بها صروفُ النَّوى من حيث لم تك ظنّت

بأكثر منّي لوعة غير أنني أطامِنُ أحشائي على ما أَجَنَّت[8]

3 **الاقواء** : هو الجمع في الروي بين ضمة وكسرة كقول النابغة الذبياني :

أمن آل مَيَّةَ رَائِحٍ أَو مُغتَدِى عَجْلانَ ذا زاد وغير مزودِ

زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسْوَدُ

وكان النابغة كثيراً ما يُقوى في شعره، و قد أراد أهل يثرب أن يدلوه من طرف خفى على خطئه، فأوحوا إلى " جارية تغنيه بالأبيات السابقة، وأن تتعمد إظهار الحركات المختلفة بالضم والكسر ؛ ففعلت، ففطن النابغة لشعره ؛ فأصلح خطأه فجعل عجز البيت الثاني **(**وبذاك تنعاب الغراب الأسودِ**)**،[9]

3- **الإصراف:** وهو اختلاف المجرى بالفتح وغيره بالكسر و الضم فمع الضم مثل قول الشاعر :

أريتك إن منعت كلام يحيى أتمنعنى على يحيى البكاءَ

ففي طرفي على يحيى سهاد وفي قلبي على يحيى البلاءُ

ومع الكسر :

ألم ترنى رددت على ابن ليلى منيحتَهُ فَعَجِلْتُ الأداءَ

---

[7] مرجع سابق ، ص 101

[8] مرجع نفسه ، ص 102

[9] مرجع سابق ، ص 103

وقلت لشـاته لما أَتَتنا رماك اللهُ مِنْ شاة بداءِ

4- الاكفاء: اختلاف الروى بحروف متقاربة المخارج كاللام والنون وهو في قول القائل من مشطور السريع

بنات وطاء على خـد الليل

لا يشكين عَمَلاً ما أنقين

5- الإجازة (بالزاى) وبعضهم يسميها الإجارة من الجور؛ وهي اختلاف الروى بحروف متباعدة المخارج كاللام والميم في قوله :

ألا هل ترى إن لم تكن أم مالك بملك يدَى أَنَّ الكفاءَ قليل

رأى من خليليه جَفَاء وغلظة إذا قام يبتاعُ القَلُوص ذميم[10]

6- السناد: وهو اختلاف ما يراعى قبل الروى من الحروف والحركات، ونخص السناد بحديث وحده فنقول :

أنواع السناد

هي خمسة: اثنان منها متعلقان بالحروف وثلاثة متعلقة بالحركات :

أ- **سناد الردف:** وهو ردف أحد البيتين دون الآخر؛ كقول القائل :

إذا كنت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه

وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبيبا ولا تعصه

فالبيت الأول مردوف بالواو، والثاني لم يردف، وجاءت العين في موضع الواو في الذي قبله .

ب- **سناد التأسيس:** وهو تأسيس أحد البيتين دون الآخر؛ مثل قول العجاج من مشطور الرجز:

يا دار مَيَّةَ اسلمى ثم اسلمى

فخندف هامة هذا العالم

فالبيت الثانى مؤسس بالألف فى لفظ العالم، والأول لا تأسيس فيه

ج- **سناد الإشباع:** وهو اختلاف حركة الدخيل بحركتين متقاربتين في الثقل كالضم والكسر ؛ مثل:

وهُمْ طردوا منها بليا فأصبحت بلىّ بواد من تهامة غائِر[11]

وهم منعوها من قضاعة كلها ومِنْ مُضرَ الحمراء عند التَّغاوُر

فالهمزة في القافية الأولى مكسورة والواو في الثانية مضمومة .

ويكون هذا السناد أيضاً بحركتين متباعدتين في الثقل؛ كالفتح مع الضم، الكسر ؛ مثل قول الشاعر من مشطور الرجز :

يا نخل ذات السدر والجداوِل

---

[10] مرجع سابق ، ص 104

[11] مرجع سابق ، ص 104

فالواو في «الجداول مكسورة وفى «تطاولى» مفتوحة.

وقد فرقوا بين النوعين فجعلوا الأول – وهو الاختلاف بالضم والكسر - أقل قبحاً من الثاني - وهو الاختلاف بالفتح مع الكسر أو الضم؛ بل إن بعضهم لا يرى في الأول عيبا .

د- سناد الحذو: وهو اختلاف حركة ما قبل الردف بحركتين متباعدتين في الثقل ؛ (الفتح والكسر) أو (الفتح والضم)، ومثاله:

و قد ألجُ الخِباءَ على جَوار كأن عُيونَهُنَّ عيون عِين

كأنى بين خافيتَى غُراب يريد حمامة في يوم غَين[12]

ف (عين مكسورة العين وغين) مفتوحة الغين .

هـ-سناد التوجيه : وهو اختلاف حركة ما قبل الروى المقيد؛ كقول رؤبة من مشطور الرجز :

وقائم الأعماقِ خاوى المخترَق

أَلَّفَ شتّى ليس بالراعي الحمِق

شذابة عنها شذى الربع السّحُق

فالراء في (مخترق) مفتوحة والميم في (الحمق) مكسورة، والحاء في (السحق) مضمومة .

[12] مرجع سابق ، ص 105